

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[353] الذهن سؤال هو: لو كان التمني والترجي جائزين بالنسبة للإنسان لعدم علمه بالغيب ولمحدودية قدرته وعجزه عن فعل وإِنجاز كل ما يريد، فكيف يجوز استخدامهما من قبل الإنسان العالم بالغيب والشهادة والقادر على كل شيء؟! والطمع والترجي يكونان في جاهل عاجز والإنسان منزّه عن ذلك؟ ذهب كثير من العلماء إلى تأويل معنى كلمتي "عسى" و"لعل" الواردتين في كلام الإنسان فقالوا: بأنّهما إذا وردتا في كلامه سبحانه عز وجل فإنّهما تفقدان معانيهما الحقيقية الأصلية وتكتسبان معاني جديدة، وقالوا: إن كلمة "عسى" إذا أتت في كلام الإنسان جاءت بمعنى "الوعد" وإن كلمة "لعل" تأتي في كلامه - عز - من قائل - بمعنى "الطلب".

والحق أنّ هاتين الكلمتين لا يتغير معناهما إذا وردتا في كلام الإنسان، ولا يستلزمان الجهل أو العجز، لكن استخدامهما يأتي في مواضع يكون الوصول فيها إلى الهدف بحاجة إلى مقدمات عديدة، فإن لم تتوفر إحدى هذه المقدمات أو بعضها لم يمكن القطع بتحقيق ذلك الهدف، بل تأتي مسألة تحقق الهدف على شكل احتمال، ويكون الحكم في هذا المجال إحصائياً. على سبيل المثال يقول القرآن الكريم: (وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)(1) ولا يعني هنا أنّ رحمة الله تشمل كل من يستمع أو ينصت إلى القرآن أثناء قراءته، بل أنّ الإستماع والإنصات يكونان مقدمة من مقدمات نيل رحمة الله، وهناك مقدمات أخرى مثل فهم القرآن وتدبر آياته والعمل بأحكامه. ويتضح من هذا أنّ تحقيق مقدمة واحدة لا يكفي لحصول النتيجة المطلوبة ولا يمكن الجزم أو القطع بحتمية تحقق النتيجة، بل كل ما يمكن الحكم به هو احتمال حدوثها، والحقيقة إن مثل هذه الكلمات حين تأتي في كلام الإنسان، يكون _____ 1 - الآية 204 من سورة الأعراف.